السلفية الوهابية ، أنهار الشرق الدموية (7 – 8)

بقلم: رائف محمد الويشى

20 فبراير 2014

ذكرنا في الحلقة الأولى أن السلفية (التي تبناها ابن تيمية ونسبها زورا إلى السلف) هي نفسها الوهابية (التي تبناها تلميذه محمد بن عبد الوهاب ونسبها أيضا إلى السلف) ، فكلاهما شربا من منبع واحد وشخص واحد ، وهو اليهودي المتأسلم الحاخام كعب الأحبار الذي أنشأ مذهبه في التجسيم في أعقاب موت عمر بن الخطاب ، وأغرق الحديث النبوي بالإسرائيليات ..
كما ذكرنا أيضا أراء بعض كبار علماء أهل السنة في هذا المنهج الضال المضل ، وختمنا الحلقة ببدء الدخول في سيرة محمد بن عبد الوهاب ..

في الحلقة الثانية واصلنا التوغل في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، وذكرنا نصوصا من كتب الوهابية أوضحت أن محمد بن عبد الوهاب كان يكفر المخالفين ويأمر بقتلهم ونهب أموالهم ..

في الحلقة الثالثة عرفنا المزيد من سيرة محمد بن عبد الوهاب من خلال كتب الوهابية أنفسهم ، ورأينا كيف تصاهر مع الأسرة الحاكمة وأصبح أحفاده يحكمون ، وكيف زاد منهجه سرعة في تكفير وقتل وسبى نساء المخالفين ونهب أموالهم ، وقد ذهب من جراء ذلك عشرات الألوف من المسلمين بزعم أنهم مشركون كفرة ، والوهابيون يقرون بذلك على سبيل الفخر في كتبهم ..

في الحلقة الرابعة أوردنا بعض نصوص الوهابية ورأينا كيف هم معجبون بارتكاب المزيد من المذابح بالمسلمين بعد أن كفروهم ، كما ذكرنا تأسيس المملكة الأولى التي تبنت مبادئ محمد بن عبد الوهاب في تكفير وقتل المخالفين واستحلال نسائهم وأموالهم ..

في الحلقة الخامسة ذكرنا تأسيس المملكة الثانية التي واصلت على خطى المملكة الأولى في تبنى جميع أفكار محمد بن عبد الوهاب في تكفير وقتل المخالفين ونهب أموالهم وسبى نسائهم ، كما ذكرنا تأسيس المملكة الثالثة وما صاحبها من جرائم شبيهة بما حدث من قبل ..

في الحلقة السادسة عرفنا بعض جرائم الوهابية في الكذب وتزوير الكتب التي تدينهم حتى يغطوا على عشرات آلاف جرائم التكفير والقتل التي ارتكبوها باسم الإسلام بحق المسلمين ، وما صاحبها من استحلال للأعراض والأموال ..

في صدر الحلقة الأولى قلنا أن السلفية الوهابية هي فكرة توسعية استندت على خمس نقاط ، وقد ناقشنا في الحلقات الست الماضية أربعا من هذه النقاط ، وبقيت هناك نقطة واحدة وهى تتعلق بتمثل السلفية الوهابية في أفعالهم الإجرامية بما فعله أساتذتهم من بني أمية ، سنناقش تلك النقطة في هذه الحلقة الأخيرة ..

في الحلقات الماضية عرضنا المزيد من جرائم السلفية الوهابية ، رأينا كيف كانوا يغيرون على المدن الآمنة في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فيكفرون مسلميها ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، ويغتصبون نساءهم ..
سنعرض في هذه الحلقة السابعة بعض أفعال الأمويين الإجرامية في المدن حتى نرى التطابق بينهم وبين أفعال تلامذتهم النجباء من السلفية الوهابية ..

الجريمة الأولى :
ذكر الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 60) ، والبلاذرى – توفى في عام 297 هـ - في انساب الأشراف (ج 2 ص 368) في شأن أحد جرائم الخوارج بالعراق في عهد الإمام علي (ع) ما يلي :

" فخرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفزعوه ، وقالوا له: من أنت ؟ قال: أنا عبد الله ابن خباب صاحب رسول الله (ص) ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لما أفزعوه ، فقالوا له: أفزعناك ؟ قال: نعم ، قالوا: له لا روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي (ص) لعل الله ينفعنا به ، قال : حدثني أبي عن رسول الله (ص) أن فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسى فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً ، فقالوا : لهذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال : إنه كان محقاً في أولها وفي آخرها ، قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ! والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً ! فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متمّ حتى نزلوا تحت نخل مواقر فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه ، فقال أحدهم : بغير حلها وبغير ثمن ! فلفظها وألقاها من فمه ! ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه ، فقالوا: هذا فساد في الأرض ! فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره ! فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأس ، إني لمسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولقد آمنتموني قلتم لاروع عليك ! فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء ! وأقبلوا إلى المرأة فقالت إني إنما أنا امرأة ألا تتقون الله ! فبقروا بطنها ..

وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية ! فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه ، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم فخرج القوم إليه فقتلوه ! وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علامَ تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشأم ..

ثم جاء مقبلاً إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر: إدفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشأم ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتُهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم " .. ص 136

(ملاحظة : عندما نقول أننا سنعرض جرائم الأمويين لنرى تطابقها مع جرائم السلفية الوهابية ، فلا يعنى ذلك أننا لن نذكر جرائم الخوارج أيضا ، فالكثير من المؤرخين وعلماء الحديث يقول أن الخوارج كانوا طابورا خامسا لمعاوية في داخل جيش الأمام علي (ع) ، فزعيمهم الأشعث بن قيس كان أمويا خالصا ، وهو – بالاتفاق مع عمرو بن العاص – من أصر على خديعة رفع المصاحف ، وكان سيقدم على قتل الإمام علي (ع) في غرفة القيادة في صفين لو رفض الإمام علي عرضه عندما حاصره مع قواته منفردا ..

قال البلاذرى – توفى في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج ص 383) ، وابن أبى حديد – توفى في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 114) ما يلي :

" إن معاوية لما بويع وبلغه قتال علي أهل النهروان ، كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره، ووعدهم ومنَّاهم وبذل لهم حتى مالوا إليه، وتثاقلوا عن المسير مع علي، كان يقول فلا يلتفت إلى قوله، ويدعو فلا يسمع لدعوته ! فكان معاوية يقول: لقد حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال: ولاعتاد " ..)..

الجريمة الثانية :

ذكر اليعقوبى – توفى في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 193) جريمة ارتكبتها قوات معاوية في المقاتلين المعارضين لهم ، وهى التمثيل بقتل محمد بن أبى بكر في مصر لما تمكنوا منه ، والتفاصيل كما يلي :

" ووجه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له ، فقدِمها سنة 38 ، ومعه جيش عظيم من أهل الشأم ، فكان على أهل دمشق يزيد بن أسد البجلي ، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمي ، ومعاوية بن حديج الكندي على الخارجة فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسنَّاة ، فحاربهم محاربة شديدة ، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسناة ، وقد كان محمد استذمَّ إلى اليمانية فمايل عمرو بن العاص اليمانية ، فخلفوا محمد بن أبي بكر وحده ! فجالد ساعة ثم مضى فدخل منزل قوم خرابة ، واتبعه ابن حديج الكندي فأخذه وقتله ، وأدخله جيفة حمار ، وحرقه بالنار في زقاق يعرف بزقاق الحوف " ..

قال ابن أبى شيبة – توفى في 235 هـ - في مصنفه (كتاب الأمراء 30116) ما يلي :

" بعث عليّ بن أبي طالب قيس بن سعد أميراً على مصر ، قال : فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص بكتاب فأغلظا له فيه وشتماه وأوعداه ، فكتب إليهما بكتاب لأن يغار بهما ويطمعهما في نفسه ، قال : قال : فلما آتاهما الكتاب كتبا إليه بكتاب يذكران فضله ويطمعانه فيما قبلهما ، فكتب إليهما بجواب كتابهما الأول يغلظ ، فلم يدع شيئاً إلاّ قاله ، فقال أحدهما للآخر : لا والله ما نطيق نحن

قيس بن سعد ، ولكن تعال نمكر به عند علي ، قال : فبعثا بكتابه الأولى إلى عليّ ، قال : فقال له أهل الكوفة : عدو الله قيس بن سعد فاعزله ، فقال علي : ويحكم أنا والله أعلم هي إحدى فعلاته ، فأبوا إلاّ عزله فعزله ، وبعث محمد بن أبي بكر ، فلما قدم على قيس بن سعد قال له قيس : أنظر ما آمرك به ، إذا كتب إليك معاوية بكذا وكذا فأكتب إليه بكذا وكذا ، وإذا صنع بكذا فاصنع كذا ، وإياك أن تخالف ما أمرتك به ، والله لأكني أنظر إليك إن فعلت قد قتلت ثم أدخلت جوف حمار فأحرقت بالنار ، قال : ففعل ذلك به " ..

(**ملاحظتان : الملاحظة الأولى :** نهى الإمام علي (ع) طوال حياته قواته من التمثيل بالجثث ، وقد تأسي في ذلك برسول الله (ص) ، ولنا في يوم مقتله لخير دليل ، فقد قال لبني هاشم بعد الاعتداء عليه وهو ساجد في قاتله ابن ملجم بعد أن نقل إلى المنزل ما يلي : " أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا وليُّ دمي ، إما عفواً وإما قصاصاً ، وإن أمتْ فألحقوه بي ضربة بضربة ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين ، لا يُقتلن في إلا قاتلي ، أنظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يُمَثَّلْ بالرجل ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور " ..
الملاحظة الثانية : ذكرنا تلك القصة التي تدلل علي عشق الأمويين في التمثيل بالجثث ، والقصص منتشرة وتغمر أمهات الكتب السنية ، ولنا في فصل رؤوس أهل البيت في كربلاء لعبرة ، وغيرها في التمثيل بجثة عبد الله بن الزبير وجثة زيد بن علي بن الحسين) ..

الجريمة الثالثة :

قال ابن هلال الثقفي – توفي في عام 385 هـ - في الغارات (ج 2 ص 421) في واحدة من جرائم معاوية ما يلي :
" دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى ، ولا تقيمنَّ لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، جريدة خيل ..
قال : فأقبل الضحاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب ، حتى مر بالثعلبية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ، هو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة ، وقتل معه ناساً من أصحابه .." ..

(ملاحظة : كما أغار السلفيون الوهابيون على المدنيين فعلها من قبلهم قادتهم في بني أمية في عام 38 هـ بقيادة أحد جنود معاوية وهو الضحاك بن قيس ، وكما هاجموا قديما الحجيج قتلا ونهبا وتشريدا نجد أن الوهابية السلفية فعلوها أيضا في الحجيج في القرن الماضي) ..

الجريمة الرابعة :

قال ابن هلال الثقفي في الغارات (ج 2 ص 197) في جريمة معاوية في أهل المدينة في عام 38 هـ ما يلي :
" ووجه معاوية بُسر بن أبي أرطاة ، وقيل ابن أرطاة ، العامري من بني عامر بن لؤي ، في ثلاثة آلاف رجل ، فقال له :سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها ، وأخف من مررت به ، وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا ، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم ، وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر ، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد ، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة ، واجعلهم شرادات ، ثم امض حتى تأتي صنعاء ، فإن لنا بها شيعة ، وقد جاءني كتابهم ..
فخرج بسر ، فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية ، حتى قدم المدينة ، وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحى عن المدينة ، ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال: يا أهل المدينة ! مثل السوء لكم ، قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله ، شاهت الوجوه . ثم ما زال يشتمهم حتى نزل ! قال : فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلال ! قالت : إذاً فبايع ، فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلُب ، ويحضرون الأعياد مع قومهم .. " ..

أورد اليعقوبى – توفى في عام 284 هـ – في تاريخه (ج 2 ص 197) ، وابن عبد البر – توفى في عام 463 هـ - في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج 1 ص 161) ، والخطيب التبريزى – توفى في عام 502 هـ - في الإكمال في أسماء الرجال (ص 28) ما يلي :
" لعل أفظع غارات معاوية على بلاد المسلمين في عهد أمير المؤمنين عليّ ، غارة بسر بن أرطأة على المدينة ومكة واليمن ، قال معاوية له : " سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها ، وأخِفْ من مررت به ، وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل في طاعتنا ، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم ، وأنه لا براءة لهم عندك ولا عذر ، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد ،

وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينة ، واجعلهم شرادات ، ثم امض حتى تأتي صنعاء ، فإن لنا بها شيعة ، وقد جاءني كتابهم ! فخرج بسر ، فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاوية ، حتى قدم المدينة... " ..

(**ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولي :** كان أبو هريرة من مساعدي بسر في تلك المذبحة التي تعرض لها أهل المدينة ، ولما سيطر بسر علي المدينة وأراد أن يتجه جنوبا ولي أبا هريرة عليها كمكافأة له على مساندته لقوات معاوية ..
الملاحظة الثانية : أرسل الإمام علي (ع) من الكوفة قدامة السعدي لتحرير المدينة ونصرتها ، وقد هرب أبو هريرة من المدينة عندما علم بقدوم قدامة ، وقد أورد أبن هلال الثقفي النص العلوي لقدامة في نفس المصدر المذكور ، وكان كما يلي :
" أوصيك يا جارية بتقوى الله ، فإنها جموع الخير ، وسر على عون الله ، فالق عدوك الذي وجهتك له ، ولا تقاتل إلا من قاتلك ، ولا تجهز على جريح ، ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشى أصحابك ! ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم ، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه ، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة ، واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالتكم ، وتواسوا في ذات أيديكم ، وأجدد السير ، وأجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلاً واردده بغيظه صاغراً ، واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق ، ومن تاب فاقبل توبته . وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق ، فلا رأي لكذوب . قال وحدث أبو الكنود أن جارية مر في طلب بسر فما كان يلتفت إلى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران ، فقتل من قتل . وهرب منه بسر ، وحرَّق تحريقاً فسمي محرقاً " ..
الملاحظة الثالثة :) ..

الجريمة الخامسة :

ذكر الطبري – توفى في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 6 ص 60) نوعا جديدا من أنواع القتل الذي تفنن فيه الأمويون ، وهو الدفن حيا لمعارضيهم ، حتى أولئك الذين لم يقاتلوهم ، فنقل ما يلي :
" كان زياد والي معاوية على العراق إذا خطب يوم الجمعة فإنه يكثر من مدح عثمان والانتقاص من عليّ مما كان يغضب له حجر بن عدي ، وأطال زياد يوما " في خطبة الجمعة وآخر الصلاة ، فقال له حجر : الصلاة ، فمضى زياد في خطبته ، فخشي حجر فوات الصلاة فقام وأراد تأدية الصلاة ولحقه الناس ، فلما رأى زياد ذلك نزل وصلى بالناس ثم كتب إلى معاوية في أمر حجر وصحبه ، فكتب معاوية إلى واليه أن شدهم في الحديد واحملهم إلي وعند وصولهم إلى الشام في مرج عذراء قرب دمشق جاءهم رسول معاوية وقال لهم : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم ، فقالوا : لسنا فاعلي ذلك ، وقاموا فصلوا ، وقال حجر : أما والله لئن قتلتموني بهاـ أي في مرج عذراء - فإني لأول المسلمين كبّر في نواحيها ، وأول فارس من المسلمين هلك في واديها ، فقتلوه وقتلوا ستة من أصحابه ، وقال اثنان منهما : إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فإنا نقول في علي مقالته ، فأذن لهما معاوية ، فأما الأول فقد تبرأ من عليّ فعفا معاوية عنه ونفاه إلى الموصل ، وأما الثاني وهو عبد الرحمن العنزي فقال لمعاوية : " أشهد أن عليا كان من الذاكرين لله تعالى كثيرا ، ومن الآمرين بالحق ، والقائمين بالقسط والعافين عن الناس " ، فرده معاوية إلى زياد وأمر أن يقتل شر قتلة ، فدفنه زياد حيا " ..

(ملاحظة : زياد ابن أبيه هو زياد بن سمية ، ولد سفاحا من أبى سفيان وأنكر أبوته واعترف بها معاوية لما احتاج له ، يقول ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج 19 ص 166) أنه ولي العراق سنة ثمان وأربعين ومات سنة ثلاث وخمسين ، وكانت ولايته لخمس سنين ، عارض معاوية في توريثه الحكم ليزيد بسبب فجوره ، مات بالكوفة وهو ابن ثلاث وخمسين في ظروف غامضه واشتهر معاوية بأن زياد قد مات مسموما بخطة منه لفتح الباب أمام ابنه يزيد ..
عُرف ابن أبيه بقسوته التي قاربت من السفاح ، فكانت – مثله – يقتل على الشبهة والظن ، وعُرف عنه خطبته المسماة بـ " البتراء " لأنه لم يتبسمل أو يحمد الله فيها ، وقد توعد فيها الناس بالقتل ، ولما لان العراق له نظر إلى الحجاز واليمن فأرسل لمعاوية رسالة وقال فيها " لقد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة " ، فمات بعد عام في 53 هـ ، فقال فيه عبد الله بن عمر " إليك يا ابن سميّة ، لا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركتَ! " ..
يقول اليعقوبى – توفى في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 220) ما يلي : " وكتب معاوية إلى زياد وهو بالبصرة ، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي ، وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك ، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد . فلما بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه ، فقال: إني أريد أن أئتمنك على ما لم آتمن عليه بطون الصحائف ، إيت معاوية فقل له: يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد عليَّ بكذا ، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ، ويلبس المصبغ ، ويُدْمنُ الشراب ، ويمشي على الدفوف ، وبحضرتهم الحسين بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ! ولكن تأمره أن يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا وحولين ، فعسانا أن نموه على الناس ، فلما صار الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة قال: ويلي على ابن عبيد ! لقد بلغني أن الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد ، والله لأردنه إلى أمه سمية " ..) ..

الجريمة السادسة :

نتكلم هنا عن الجريمة التي قسمت ظهر المسلمين إلى قسمين إلى يوم يعلمه الله تعالي ، ونقصد بذلك جريمة قتل الحسين بن علي (ع) في كربلاء ..

ذكر اليعقوبى – توفى في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 219 / 220) ، وابن خلدون في تاريخه (ج 3 ص 19) أن المغيرة بن شعبة أيام معاوية - كان معاوية قد ولاه الكوفة عام 42 هـ ثم عزله وولى عبد الله بن عامر بن كريز ، فغاظ المغيرة ذلك - عزم على شيء ، فنادي غلامه : يا غلام ، شد رحلي ، وقدم بغلي ، فخرج ، حتى أتى دمشق ، فدخل على معاوية ، فقال له بعد كلام بينهما : يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وعجزت عن العمل ، وقد بلغت من الدنيا حاجتي ، ووالله ما آسي على شيء منها إلا على شيء واحد قدرت به قضاء حقك ، ووددت أنه لا يفوتني أجلي وأن الله أحسن علي معونتي ، قال معاوية : وما هو ؟ قال : كنت دعوت أشراف الكوفة إلى البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بولاية العهد بعد أمير المؤمنين ، فقدمت لأشافهه بذلك ، وأستعفيه عن العمل ، فقال سبحان الله - يا أبا عبد الرحمن - إنما يزيد ابن أخيك ، ومثلك إذا شرع في أمر لم يدعه حتى يحكمه ، فنشدتك الله إلا رجعت فتممت هذا ، فخرج من عنده ، فلقي كاتبه ، فقال : ارجع بنا إلى الكوفة ، والله لقد وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء (القصة إختصرناها لطولها) ..

(ملاحظة : المغيرة بن شعبة كان من أصحاب بيعة الرضوان ، ونراه في هذه القصة قد أسس لفتنة أفنت الحسنين (ع) ، كما أنه فعل ما فعل في مشاركته الهجوم على بيت الزهراء (ع) مع عمر وآخرين ، أضف على ذلك ما ذكره المؤرخون بدوره في قتل ولى نعمته عمر) ..

لقد أزاح معاوية الإمام الحسن (ع) من طريق الخلافة كما نصت عليها معاهدة الصلح بينهما في عام 41 هـ ، وأزاح حتى من ظن أنه قد يكون عائقا في طريق التوريث ، كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبد الرحمن ابن أبى بكر وربما زياد ابن سمية بائعة الهوى ، ولم يتبق أمامه غلا ثلاثة ، هم الإمام الحسين وعبد الله ابن الزبير وعبد الله ابن عمر ..

يقول ابن عبد ربه – توفى في عام 328 هـ - في العقد الفريد **(ج 4 ص 175)** أن معاوية قد أوصى ابنه يزيد وحذره من ثلاثة رفضوا بيعته فقال له ما يلي :
" لست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وابن الزبير ، والحسين ابن عليّ .. أما عبد الله ابن عمر فرجل قد غلبه الورع ، وأما الحسين ابن عليّ فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما عبد الله ابن الزبير فخب ضب (مراوغ مخادع) ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا " ..

مات معاوية في رجب عام 60 هـ وقد ثبّت ابنه مكانه مفتتحا بلك التوريث في الإسلام وهو ما رفضه أغلب المسلمين وأهل البيت حينها ، وافتتح بذلك فتنة تنبأ بها الداهية المغيرة ابن شعبة في الفقرة السابقة ..

يروى الطبري – توفى في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 250) ، والبلاذرى – توفى في 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 1 ص 124) ، وابن كثير – توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 صفحة 157) ما يلي :
" بعد أن أخذ يزيد بيعة أهل الشام ، كتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أما بعد ، فخذ حسيْنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام " ..

أرسل الناس في الكوفة الرسائل إلى الإمام الحسين الذي كان في مكة بعد أن غادر المدينة حتى لا يروع أهلها ، أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة كي يتأكد من مساندة أهل الكوفة فلما ذهب ابن عقيل وجد ترحيبا فأبرق إلى الإمام الحسين (ع) بأن يسرع ، وتلا ذلك القبض عليه وقتله ، قرر الإمام الحسين (ع) الرحيل إلى الكوفة ..

اصطحب الإمام الحسين معه نساءه وبناته وأطفاله وهو يعلم والأقربون يعلمون بحديث النبي المتواتر بما سيحدث له في طف العراق ، أشار عليه ابن عباس بأن لا يحمل معه مخدرات النبوة وعقائل الوحي إلى العراق ، ويتركهن في يثرب حتى تستقيم له الأمور ، فأجابه الإمام قائلا : " قد شاء الله أن يراهن سبايا "..
كان الإمام طوال مسيرته يردد على مسامع المرافقين بأن رأسه ستفصل وسترفع فوق أسنة الرماح ، فيطاف بها في الأمصار ، وتهدى إلى بغي من بغايا بني أمية ، كما صُنع برأس أخيه يحيى بن زكريا حيث أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ..

واصل موكب الإمام الحسين مسيره نحو الكوفة حتى خرجت له كتائب عبيد الله ابن زياد – والى الكوفة - وأجبرته على التوقف في

منطقة قرب الفرات تدعى الطف في كربلاء ، كان ذلك في 2 محرم سنة 61 هجرية (4 أكتوبر 680 م) .. استغرقت تلك الرحلة المباركة من مكة وحتى طف العراق في كربلاء 24 يوما ، قطع خلالها الموكب مسافة 1403 كم ، وهى مسافة كبيرة في تلك المدة الزمنية القصيرة بقياسات هذا الزمان ..

(ملاحظة : عبيد الله بن زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه الذي ولد سفاحا من سمية وقد تحدثنا عنه في الفقرة السابقة ، أما عبيد الله فقد ولد سفاحا أيضا ، وأمه جارية – مثل جدته سمية - وكانت مجوسية واسمها مرجانة ، عينه معاوية عام 54 هـ والياً على خراسان ، وفي عام 56 هـ عزله وعينه والياً على البصرة ، وبعد ارتكابه جريمة قتل الحسين وآل البيت هرب من العراق بعد ثورة المختار الثقفي ، وقد تمكن منه أحد قادة الثقفي – إبراهيم الأشتر – في يوم عاشوراء من عام 67 هـ ، فأقام عليه حد الله) ..

يروى ابن جرير الطبري من طريق حسن أن الإمام الحسين عرض على قائد جيش يزيد (عمر بن سعد بن أبى وقاص) ثلاثة حلول : إما أن يرجع إلى المكان الذي جاء منه ، وإما أن يذهب إلى ثغر من ثغور الإسلام للجهاد فيه ، وإما أن يأتي يزيد بن معاوية في دمشق فيطلب منه الحليْن الأولين ، إلا أن أحد قادة الجيش الأموي - شمر بن ذي الجوشن - رفض إلا على حكم عبيد الله بن زياد ، إما البيعة أو القتل ..

يقول الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في سير أعلام النبلاء (3 / 311) أن الإمام الحسين قال لعمر بن سعد بن أبى وقاص ما يلي " يا عمر ! اختر مني إحدى ثلاث ، إما أن تتركني أرجع ، أو فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، فإن أبيْت فسيرني إلى الترك فأجاهد حتى أموت " ..

يروى ابن كثير - توفى في 774 هـ - في البداية والنهاية (8 / 572) قصة منع الماء نقلا عن الطبري وفيها فيقول ما يلي : " جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد بن أبى وقاص: أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة،كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، قال فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث "..

يروى ابن عساكر – توفى في عام 571 هـ - في ترجمة الإمام الحسين (ص 321/ 322) اللحظات الأخيرة في حياة الإمام الحسين فيقول أنه عرض عليهم أن يقبلوا منه ما كان يقبله الرسول من المشركين ، فسألوه : وما كان يقبل منهم ، فقال " إذا جنحوا قبل منهم ، فدعوني أرجع " ، فقالوا : لا ..

يروى الطبري - توفى في عام 310 هـ في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 326) كان اشتباك الطرفين بعد ظهر الجمعة في العاشر من محرم بعد أن تقدم عمر بن سعد بن أبى وقاص نحو معسكر الإمام الحسين ورمى بسهم وقال : اشهدوا لي عند الأمير إني أول من رمى ، ثم لحقه في ذلك رجاله ، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصيب من سهامهم ، فقال الإمام الحسين لأصحابه : قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه ، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم ..

استشهد في كربلاء جميع أنصاره من الرجال (علي بن الحسين كان مريضا داخل خيمة وحالت زينب دون قتله بأن رمت بجسدها عليها) .. كان عدد الشهداء في كربلاء 168 شهيدا (37 من آل البيت + 118 من أنصار الإمام الحسين + 13 من الموالى) ، وقد فصل جيش يزيد رؤوس 78 من هؤلاء (ومنهم شهداء آل البيت) ..

سيق نساء آل البيت سيرا في اليوم التالي (11 محرم 61 هـ) إلى الكوفة ، بينما الشاب المريض ، الإمام عليّ بن الحسين ، محمولا في قيوده على جمل ورؤوس أبيه وإخوانه وأبناء عشيرته وأنصارهم أمام الركب ..

في الطريق إلى الكوفة كانت نساء أهل البيت النبوي يسرن على أقدامهن حول الموكب وهن باكيات وكاشفات للرأس وشاكيات إلى الله حتى وصلن إلى الكوفة .. كانت السيدة زينب – شقيقة الإمام الحسين بن عليّ – تتولى رعاية موكب السبايا ، وكانت تتسم برباطة الجأش ، ولم لا وقد شاهدت مقتل أولادها محمد وعون وعبيد الله ، وكذلك مقتل شقيقها وأبنائه وكل آل البيت النبوي ..

عُرض الموكب على الوالي عبيد الله ابن زياد ، فلما رأى السيدة زينب قال : " الحمد لله الذي نصرنا عليكم وأيّدنا " ، فقالت : " الحمد لله الذي أتم النعمة علينا بشهادة رجالنا " ..

أرسل عبيد الله بن زياد نساء آل البيت والأسرى مع رؤوس الشهداء إلى يزيد بن معاوية في دمشق تقربا ، وقد شق الموكب طريقه بين الأمصار يتنقلون بينها ومعهم جنود يزيد ، وقد بلغ الإجهاد منهم مبلغا ، وماتت طفلة من آل البيت وهى في الطريق (خولة بنت الحسين وعمرها خمس سنوات) ودفنت في بعلبك ..
كان الناس في دمشق ينتظرون في بهجة عندما وصل الموكب إليها ، فقد احتشدوا في الطرقات المزينة يرمون آل البيت النبوي بالسباب واللعنات ، لقد خدع يزيد الناس وادعى أن الموكب يضم أسرى من الخوارج .. أمر يزيد الموكب بالدخول عليه في قصره ، فلما دخل آل البيت النبوي وجدوه وهو يمسك برأس الإمام الحسين ويضربها بقضيب من حديد وينشد شعرا ..

يروى الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 354) ما يلي :
" وجاء كتاب بأن سرّح الأسارى إليّ ، قال فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن ، فقال : انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، قال : فخرجوا حتى قدموا على يزيد فقام محفز بن ثعلبة فنادي بأعلى صوته جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم ، فقال يزيد : ما ولدت أم محفز ألأم وأحمق ، ولكنه قاطع ظالم ، قال فلما نظر يزيد إلى رأس الإمام الحسين وقال : يفلقن هاما من رجال أعزة علينا ، وهم كانوا أعق وأظلما " ..

يروى السيوطي – توفى في 911 هـ في تاريخ الخلفاء (ص 207) عن أحداث مقتل الإمام الحسين (ع) وعائلته ما يلي :
" فقتل وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد ، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضا " ..

يروى ابن عساكر – توفى في عام 571 هـ - في كتابه ترجمة الإمام الحسين (ص 46) أن أنس ابن مالك كان شاهدا على تمثيل عبيد الله ابن زياد برأس الإمام الحسين في البصرة ، فقال " شهدت ابن زياد حيث أتي برأس الحسين ، فجعل ينكت بقضيب في يده ، فقلت : أما إنه كان أشبههما بالنبي صلى الله عليه وسلم " ..

لقد كانت فاجعة مقتل الحسين وأهل بيته بما فيهم من أطفال رضع والتمثيل بجثثهم وسبي نساء البيت النبوي عاريات الرأس الأمصار سيرا ليعرضوا بيعا مقيدين في الأصفاد في أسواق دمشق جريمة كبرى ما زالت تهز الضمير الإسلامي بشدة ، بل تزلزله ، علما أن النبي (ص) كان يعلم بتفاصيل ما سيحدث بهم جميعا ، بل حدد مواضع الإصابة لكل فرد من أفراد أهل بيته كما تذكر كتب السيرة ، وربما هي فرصة ليهلك من هلك عن بينه ويحيي من حيي عن بينه ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله سنواصل التعرف على هذا الفكر التكفيري ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشى
سانت لويس – ميزورى - أمريكا
elwisheer@yahoo.com
تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :
www.thowarmisr.com